24 - ـ فصل : التعليم عبادة .

ما زالت نفسي تنازعني بما يوجبه مجلس الوعظ و توبة التائبين و رؤية الزاهدين إلى الزهد و الانقطاع عن الخلق و الانفراد بالآخرة .

فتأملت ذلك فوجدت عمومه من الشيطان فإن الشيطان يرى أنه لا يخلو لي مجلس من خلق لا يحصون يبكون و يندبون على ذنوبهم و يقوم في الغالب جماعة يتوبون و يقطعون شعور الصبا .

و ربما اتفق خمسون و مائة و لقد تاب عندي في بعض الأيام أكثر من مائة .

و عمومهم صبيان قد أنشأوا على اللعب و الانهماك في المعاصي فكأن الشيطان لبعد غوره في الشر رآني أجتذب منه فأراد أن يشغلني عن ذلك بما يزخرفه ليخلو هو بمن أجتذبهم من يده .

و لقد حسن إلى الإنقطاع عن المجالس و قال : لا يخلو من تصنع للخلق .

فقلت : أما زخرفة الألفاظ و تزويقها و أخراج المعنى من مستحسن العبارة ففضيلة لا رذيلة .

و أما أن أقصد الناس بما لا يجوز في الشرع فمعاذ ا .

ثم رأيته يريني في التزهد قطع أسباب ـ ظاهرة الإباحة ـ من الاكتساب .

فقلت له : فإن طاب لي في الزهد و تمكنت من العزلة فنفذ ما بيدي أو احتاج بعض عائلتي ألست أعود القهقرى ؟ .

فدعني أجمع ما يسد خلتي و يصونني عن مسألة الناس فإن مد عمري كان نعم السبب و إلا كان للعائلة و لا أكون كراكب أراق ماءه لرؤية سراب فلما ندم وقت الفوات لم ينتفع بالندم .

و إنما الصواب توطئة المضجع قبل النوم و جمع المال الساد للخلة قبل الكبر أخذا بالحزم .

و قد قال الرسول صلى ا عليه و سلم : [لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس] .

و قال : [نعم المال الصالح للرجل الصالح] .

و أما الانقطاع فينبغي أن تكون العزلة عن البشر لا عن الخير و العزلة عن البشر واجبة على كل حال و أما تعليم الطالبين و هداية المرتدين فإنه عبادة العالم .

و إن من تفضيل بعض العلماء إيثاره للتنفل بالصلاة و الصوم عن تصنيف كتاب أو تعليم علم ينفع لأن ذلك بذر يكثر ريعه و يمتد زمان نفعه .

و أنما تميل النفس إلى ما يزخرفه الشيطان من ذلك لمعنيين : .

أحدهما : حب البطالة لأن الانقطاع عندها أسهل .

الثاني : لحب المدحة فإنها إذا توسمت بالزهد كان ميل العوام إليها أكثر .

فعليك بالنظر في الشرب الأول فكن مع الشرب المقدم و هم الرسول صلى ا عليه و سلم و أصحابه رضي ا تعالى عنهم .

فهل نقل عن أحد منهم ما ابتدعه جهلة المتزهدين و المتصوفة من الانقطاع عن العلم ؟ .

و الانفراد عن الخلق ؟ .

و هل كان شغل الأنبياء إلا معانات الخلق و حثهم على الخير و نهيهم عن الشر ؟ .

إلا أن ينقطع من ليس بعالم يقصد الكف عن الشر فذاك في مرتبة المحتمي يخاف شر التخليط .

فأما الطبيب العالم بما يتناول فأنه ينتفع بما يناله